الباب الخامس

الانترنت والعولمة الثقافية

الانترنت ما له وما عليه

منذ ظهور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واتخاذها حيزاً رئيسياً من حياة الانسان اليومية،جذبت اهتمام الباحثين في علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة، نظراً لارتباطها في مناحي الحياة المختلفة خاصة في عصر العولمة ومن أهم تكنولوجيا المعلومات وأكثرها إثارة في هذا الحقل هو الانترنت وما يشكله من حلقات رابطة بين السياسة والاقتصاد والثقافة.

لعل القرية العالمية التي أشار إليها مارشال ماكلوهان في منتصف القرن التاسع عشر هي التي أثارت الأسئلة حول امكانية اندماج الشعوب وثقافاتها لتتحول بالفعل الى قرية واحدة وعلى الرغم من صعوبة اختبار صحة هذه الفرضيات إلا أن العديد من الأمثلة توضح صعوبة هذا التجانس المطلق فقد تتغير عادات الاستهلاك اليومية لسلع معينة وكماليات في حياة الانسان لكن من الصعب أن تتغير جوهر العادات والتقاليد والمعتقدات المرتبطة باللغة والدين والمجتمع ولعل هذا ما يدفع المجتمعات لإعادة انتاج ما هو عالمي محلياً وبهذا قد يكون الانترنت تحدياً للعولمة الثقافية أكثر من كونه.

محفزاً لها إن علاقة الانترنت بالعولمة الثقافية مرتبطة بتدفق المعلومات الهائل في الفضاء الالكتروني، بالاضافة الى موجات الهجرة البشرية بحثاً عن العلم أو العمل والتي لا يمكن فصلها عن التدفق المعلوماتي في أسواق السياسة والاقتصاد وعلى الرغم من تعدد تعريفات العولمة الثقافية تبعاً لكل مجتمع ورؤيته الا أن تبني الافكار الجديدة المعولمة في المجتمعات ليس بالأمر السهل وهذا ما يجعل قالب العولمة الثقافية متحولاً من مجتمع لآخر من ناحية التأثير فتوفر الانترنت والرقابة جعل الفجوة الرقمية تحدياً قوياً أمام خلق مجتمع عالمي متجانس تماماً ناهيك عن مكونات الثقافة نفسها كالدين واللغة والعادات والتقاليد والمعتقدات التي تشكل سدّاً منيعاً كونها تمثل الهوية الفردية والجمعية.

لعل من التشبيهات الملائمة لوصف التغيرات في المجتمعات هو المستويات فيرى الباحث الامريكي جوزيف ستروبار ٢٠٠٨ أن العولمة الثقافية تشكل طبقات جديدة انتقالية في الهوية الفردية والجمعية لمستخدمي الانترنت كالناظر إلى نهر

في أسفل المنحدر يرى بشكل جانبي مستويات متعددة للمياه الجارية ويلاحظ أن هناك مستويات جوهرية من المياه لا يمكن الاستغناء عنها ليتم استقبال مستويات جديدة وهنا يشير الباحث الى مستويات اللغة والدين والتعليم والطبقة الاجتماعية والعرق كمستويات أساسية لا تتجزأ مهما تأثرت أجزاء منها بالعولمة إثر الهجرة المؤقتة أو الاتصال بالانترنت.

وعلى الرغم من محاولات قوى العولمة الاقتصادية والسياسية لنشر ثقافة استهلاكية محددة تخدم المصالح الاقتصادية وبالتالي السياسية عبر وسائل الاعلام، فإن استيعاب المجتمع لهذه المفاهيم الجديدة يبقى في إطار خلفيته الثقافية، نرى ذلك جلياً في ثقافة استهلاك الكولا والجينز والوجبات السريعة التي يتم تمريرها في أفلام هوليوود مثلاُ وبالرغم من هذا تبقى هذه الثقافة الدخيلة في المرتبة الثانية في اهتمامات الفرد.

ومع ظهور منصات الإعلام الجديد أو الاجتماعي الذي يتيح للمستخدم انتاج سيل المعلومات الخاص به أصبح هذا

تحدياً جديداً في العولمة الثقافية فلم يعد الانتاج المعلوماتي حكراً على طبقة معينة بل أصبح فضاءً مفتوحاً للجميع وعلى الرغم من مساهمة الاعلام الاجتماعي في التقليل من الفجوة المعلوماتية بين المجتمعات الا ان الاختلافات العميقة لا زالت صامدة في وجه التغيير. بل وبالعكس، ففي بعض الحالات رفعت النجاحات العالمية من سقف المتوقع انتاجه محلياً، ويظهر هذا جلياً في عصر أفلام بوليوود الهندية ونوليوود النيجيرية التي اقتبست عن هوليوود إطارها العام وحولته إلى انتاج محلي يعكس هموم المجتمعات المنتجة لها.

هذه التحولات قادت الباحثين الى إطلاق تسميات جديدة على القرية العالمية المتجانسة لتصبح قرية متعددة ومتنوعة الثقافات نظراً لتعدد جنسيات وسائل الاعلام المنتجة للصور والأفكار والثقافات. وربما هذا أيضاً ما دفع الصحفي والباحث الامريكي جيمس لول (٢٠٠٠) ليؤكد أن العولمة الثقافية لا تعني بالضرورة هيمنة المجتمع المتطور تكنولوجياً على العالم وتدمير منظومات الثقافات المحلية. ويؤكد أيضاً

أن المسافات الجغرافية بين المجتمعات لا زالت عائقاً في وجه العولمة الثقافية بالرغم من توفر الانترنت وغيره من وسائل الاتصال والدليل على ذلك مناطق الهند ورواندا وإثيوبيا والتبت وفلسطين التي لا زالت تعاني نزاعات عرقية وسياسية ويرى لول أيضاً أن المجتمعات باتت تتصل بالانترنت كإثبات وجود مكانة رمزية لها بين المجتمعات الأخرى.

لعل الانترنت أيضاً يحفز الروابط بين المجتمعات المضطهدة سياسياً كحال اللاجئين الفلسطنيين الذين وجدوا فيه فرصة للتواصل مع اخوانهم في الأراضي المحتلة والشتات وربما هذا ما يمثل نظرية عالم الاجتماع الاسباني مانويل كاستلز (٢٠٠٤) حول روابط الهوية الجماعية المتينة التي تجمع القوميات المتفرقة سياسياً وغير المحمية بسيادة دولة كاملة ولعل اتساع حدود الخيارات المتوفرة على الانترنت تجعل من السهل على الفرد أن يختار مجتمعه الافتراضي الذي يكون فى العادة متقارب أو مماثل لثقافته.

ومن ناحية أخرى تلعب اللغة في هذا المجال دوراً صريحاً ومع ذلك تلحظ حرص مواقع الانترنت العالمية ومحركات البحث ومنصات الاعلام الاجتماعي على توفير عدة لغات لضمان الوصول الى أكبر عدد ممكن من المتصفحين ولعل أفضل مثال على ذلك هو الموسوعة الالكترونية ويكيبيديا التي وصل عدد اللغات المتوفرة عليها في ٢٠٠٧ الى نحو مئة وأربعة وسبعين لغة بالرغم من توفر النسخة الانجليزية منها.

جوجل أيضاً مثال صارخ على الاهتمام بمحاكاة تعدد اللغات والثقافات، حيث أن لكل دولة نطاقها الرقمي الخاص بها كصفحة جوجل لتركيا أو المملكة المتحدة مثلاُ وفي نفس السياق يظهر الاهتمام باللغة من خلال الشعار المبتكر لجوجل الذي يحاكي في كل يوم قصة شخصية أو مناسبة عالمية ويوفرها على كل نطاق بلغته الخاصة ومن ناحية أخرى لا يمكن اهمال ظهور لغة العربيزي التي تقلق العديد من الباحثين في مجال اللغة فإعلان جوجل في أواخر عام ٢٠١٢ عن اعتماد العربيزي كلغة بحث على محركه أثارت المخاوف حول ركاكة استخدام

العربية بهذا الشكل فالتمسك باللغة هو جزء من الدفاع عن الهوية في وجه عولمة الثقافة وهذا ما قد يفسر نمو اللغة العربية بنسبة ٣٠٠٪ في المحتوي الالكتروني.

محاولات الانترنت المتعددة في تجاوز الحدود السياسية والجغرافية لم تفلح في اختراق الحدود الثقافية وتمسك المجتمعات بهوياتها فى الحد الأدنى ويشير كاستلز في هذا المجال الى رغبة الشعوب فى التميّز عن غيرها من خلال هويتها الثقافية الملموسة وهذا ما يشكل تحدياً آخر للعولمة الثقافية وهذا ما يمكن إجماله بشعور المواطنة والانتماء من خلال العادات المشتركة والذاكرة الجماعية والتاريخ والمعتقدات والرموز إذاً بالرغم من سيل المعلومات العالمي على الانترنت الا أن صلابة الهوية الثقافية وقدرة الشعوب على امتصاص وهضم الثقافات الدخيلة قد يكون بطيئاً نسبياً.

أما الفجوة الرقمية التي تفصل الدول الفقيرة عن الثرية قد تكون مسبباً آخر لتفاوت مظاهر العولمة الثقافية فتوفر

الشبكة العنكبوتية وجودة الاتصال بها مرتبط بشكل مباشر بالحالة الاقتصادية في الدولة وهذا ما يفسر تطور استخدام تكنولوجيا المعلومات في دول الخليج العربي مقارنة بفلسطين والاردن ولبنان وسوريا ناهيك عن دور الرقابة الذي تلعبه الحكومات في ضبط قدرة المواطنين على الوصول إلى بعض محتويات الانترنت التي يظهر أكثر أشكالها تطرفاً في الصين.

إن عالم البحث في علاقة الانترنت بالعولمة الثقافية لن يتوقف مع تسارع التغيرات في هذا الحقل ومما لا يمكن إنكاره هو تأثير التكنولوجيا على جوانب الحياة المختلفة لكن من ناحية أخرى لا يمكن للتكنولوجيا أن تلغي الأميّة في ظل الفجوة الرقمية، ولا يمكنها تجاوز العرق والدين والنوع الاجتماعي وغيرها من مكونات الهوية الثقافية لذلك فإن التجانس المطلق بين شعوب العالم هو سريالية بعيدة المنال ومبالغ فيها حتى وإن تم قولبة ما هو عالمي بإطار محلي وهذا ما يلخصه جيمس لول بقوله: على الرغم من اتساع نطاق الاتصال بالتكنولوجيا بشكل هائل إلا أنها لن تجعل من العالم شعباً واحداً.

تأثير الانترنت على الوطن العربي اقتصادياً

أصبحت الإنترنت سوقاً واسعة للشركات، بعض الشركات الكبيرة ضخمت من أعمالها بأن أخذت مميزات قلة تكلفة الإعلان والاتجار عبر الإنترنت،ويعرف بالتجارة الإلكترونية وهي تعتبر أسرع طريقة لنشر المعلومات إلى عدد كبير من الأفراد ونتيجة لذلك قام الإنترنت بعمل ثورة في عالم التسوق وقام بتسهيل عملية التسوق الشخصي ، ويتيح لشركة ما أن تسوق منتج لشخص معين أو مجموعة معينة من الأشخاص بطريقة أفضل من أي وسط إعلاني .

أن التشريعات العربية في شأن التجارة الإليكترونية تنمو ببط ء وعلى استحياء فحتى الآن لم يصدر سوى قانون التجارة الإليكترونية في تونس ودبي والأردن والبحرين .

تأثير الانترنت على الإدارة الحكومية في الوطن العربي

تمضي نظم المعلومات والاتصالات قدماً وبشكل متسارع وتأتي مع كل يوم بجديد، ويمكننا القول بأنه أصبح للكمبيوتر

والاتصالات دوراً رئيسياً في المجتمع بشكل عام وفي تطور أداء الأجهزة الإدارية الحكومية بشكل خاص ومن المسلم به أنه من الصعب بمكان رسم صورة لنهاية المطاف لهذه التكنولوجيا ولكنها لا تزال حتى الآن تتركز بشكل رئيسيي في بلدان العالم المتقدم، وبالتالي فإن دراسة منجزات هذه التكنولوجيا وتطبيقاتها خاصة في مجال الإدارة الحكومية للأنشطة الحضرية بالمدينة، وكذلك دراسة المشروعات والتصورات المستقبلية في هذه الدول يساهم إلى حد بعيد فى وضع النقاط الرئيسية لملامح مجتمع المستقبل .

مع تطور مفاهيم نظم المعلومات، وازدهار تكنولوجيا الحاسبات والاتصالات في النصف الثاني من القرن العشرين، ظهرت أنواع متعددة من نظم المعلومات المبنية على الحاسبات كل منها يسعى إلى تلبية احتياجات معينة في المجالات الإدارية المختلفة، وكل منها يعمل على الإسهام بشكل أو بآخر في تحسين فاعلية الأداء التنظيمي والإداري وقد كان لذلك الأثر المباشر على الأجهزة الإدارية الحكومية، من حيث رفع كفاءتها

وتحسين وتطوير طريقة أدائها.

وعلى ذلك ظهر ما يعرف بالحكومة الالكترونية التي تأخذ بالأساليب الحديثة من تكنولوجيا ونظم المعلومات بهدف تبسيط الإجراءات الإدارية في الحصول على الوثائق والقرارات والخدمات الحضرية المختلفة للمواطنين وبالتالي تسيير أعمالهم اليومية المتعلقة بالأجهزة والمؤسسات الحكومية المتعددة من خلال وسائل المعلومات والاتصالات، كما تهدف إلى مساعدة أصحاب القرار في الأجهزة الحكومية على اتخاذ القرار في الوقت المناسب.

من الضروري إدراك التأثير الهائل للتطورات المتلاحقة في تكنولوجيا ونظم المعلومات على الأجهزة الإدارية الحكومية العربية، وانعكاس ذلك على الأنشطة الحضرية بالمدينة العربية فسوف تتغير الكثير من أساليب تأدية تلك الأجهزة لأعمالها، ومن وسائل تحقيق تلك الأجهزة لأهدافها، وسوف يصاحب ذلك تغيير الكثير من المعتقدات التنظيمية السائدة لقد أصبح

لزاماً في ظل تكنولوجيا ونظم المعلومات أن تعيد الأجهزة الإدارية الحكومية في معظم المدن العربية اكتشاف نفسها، وتراجع تقييم خدماتها، والتركيز على طالب الخدمة، والهيكلية التنظيمية، واستخدام التكنولوجيا وسوف يتوقف نجاح تلك الأجهزة على نحو أكثر من ذي قبل على فهم طبيعة التغير واستباق التكنولوجيا واستخدامها على نحو يوظف مزاياها.

إن بناء نظم للمعلومات في الأجهزة الإدارية الحكومية بالمدن العربية أصبح ضرورة ملحة لا بد منها، حيث أصبحت مصدراً جديداً لقوة تلك الأجهزة الإدارية يساهم في تحسين كفاءة وفاعلية الأداء لذلك يجب على الأجهزة الإدارية الحكومية في المدن العربية أن تقوم برسم سياسات واستراتيجيات لتطوير مصادر المعلومات لديها وتحفيز عملية الانتفاع من أنظمة المعلومات، بهدف تطوير وتنمية تلك الأجهزة بما يتماشى وينسجم مع التطورات الحادثة، لتحقيق نمو أكثر فاعلية في الخدمات الحكومية وسوف يؤدي الفشل في الشروع في الوقت المناسب بنشاط فعال في هذا المجال إلى عواقب تتصل بقدرة

الأجهـزة الإداريـة الحكوميـة عـلى توفـير الدعـم الفعـال للتنميـة العمرانيـة والاقتصاديـة والاجتماعيـة في المدينـة العربيـة.

تأثير الانترنت على الوطن العربي سياسياً:

رغـم اختـلاف الأيديولوجيـات السياسـية والثقافيـة في العـالم العـربي فـإن العـرب يقفـون مـع شـبكة الإنترنـت للمـرة الأولى بـلا حـدود حقيقيـة تفصلهـم أو حواجـز تعـترض تواصلهـم أو تعـوق عمليـة انتقـال المعرفـة بينهـم؛ إذ أتاحـت الإنترنـت للعـرب إمكانيـة الخـوض في مناقشـات ومناظـرات حـول الديـن والمـرأة والحكـم بجـرأة وحريـة كبـيرة، ويمكننـا القـول إن الإنترنـت أصبحـت منـبراً حـراً في العـالم العـربي بعدمـا أرسـت مجموعـة مـن القواعـد الضمنيـة للتواصـل بـين الأفـراد والجماعـات والقوميـات المختلفـة، وأتاحـت إمكانيـة الانفتـاح عـلى المجتمـع العالمـي عـلى اعتبـار أن أي تكنولوجيـا تعمـل تدريجيـاً عـلى خلـق بيئـة إنسـانية جديـدة .

يـرى البعـض أن الإنترنـت سـتؤثر عـلى السياسـة في العـالم العـربي، وسـتجبر القـادة العـرب عـلى السـماح بحريـات أكثـر،

كذلك ستؤثر في الرأي العام وصنع القرار السياسي العربي، حيث إن استخدام الإنترنت سيؤدي إلى إيجاد نظام سياسي يتسم باللامركزية والانفتاح الديمقراطي، ومن الممكن أن تشجع الإنترنت الحكومات العربية على تبني القطاع الخاص ولكن انعكاسات الإنترنت على الثقافة العربية سوف تعتمد على الطريقة التي يقررها العرب في استخدامه ، وهناك توقعات أن تؤدي الإنترنت إلى المساعدة في تحريك المجتمع المدني العربي وإلى خلق جو يتسم بالحرية والديمقراطية، كما أن الإنترنت لديها القدرة على عبور الفجوة الثقافية بين العرب والغرب رغم مخاوف بعض العرب من تأثير ذلك على هويتهم القومية وثقافتهم وللانترنت أهميه كبرى في دعم القضايا العربية وأهمها الصراع العربي الإسرائيلي، ومقاومة التعتيم الإعلامي الغربي لحقيقة ما يجري من حرب قذرة بين شعب أعزل لا سلاح له إلا الإيمان بوجوب الدفاع عن مقدسات الأمة الإسلامية، وبين حشود عسكرية إسرائيلية مدججة بكل أنواع السلاح منها المحرم دولياً والمحظور استخدامه فمنذ انتفاضة الأقصى

برز مصطلح الجهاد الإلكتروني والحرب الإلكترونية لمقاومة وسائل الإعلام الغربية التي تزيف الحقائق وتبين المعتدي كأنه ضحية، والضحية كمعتد غاشم .

وهناك أيضاً ما يعرف بالحرب الإلكترونية وأساليبها ومقوماتها فتعرف بأنها انتقال الهجمات إلى رحاب مواقع الإنترنت بغرض تدميرها أو تعطيلها أو تشويه محتوياتها، وتعطيل البريد الإلكتروني لجهات حساسة وشخصيات على مستوى القيادات السياسية مما يشل ويعيق وسائل الاتصال وتعود البداية الحقيقية التي صعدت الهجمات الافتراضية إلى أكتوبر ٢٠٠٠، عندما شنت مجموعة إسرائيلية هجمات على موقع حزب الله بعد أسر الجنود الإسرائيليين الثلاثة، حيث قام مختص إسرائيلي في علوم الحاسب الآلي يدعى ميكي بوزاجلوا مع فريق من قراصنة الإنترنت بحذف محتويات موقع حزب الله ووضع نجمة داود وعلم إسرائيل بدلاً منها ورد العرب ومؤيدوهم على الهجوم الإسرائيلي بهجمات مماثلة على مواقع حكومية إسرائيلية أهمها موقع مكتب رئيس الوزراء وموقع

الكنيست وموقع غرفة التجارة وموقع بورصة إسرائيل وموقع بنك إسرائيل وبلغ عدد المواقع التي تمت مهاجمتها نحو ٢٨٠ حسب آخر إحصائية متاحة أعدتها شركة I defence الأمريكية المتخصصة في أمن المعلومات على الإنترنت إذ ان عدد المواقع الإسرائيلية التي تم الهجوم عليها بلغ ٢٤٦ موقعاً مقابل ٣٤ موقعاً عربياً أو إسلامياً تعرضت لهجمات مماثلة بل إنه في يوم ٢٩ ديسمبر ٢٠٠١ تعرض ٨٠ موقعاً إسرائيلياً لهجمات ناجحة أدت إلى خروجها جميعاً من الخدمة من ضمنها موقع رئيس الوزراء الإسرائيلي وموقع الجيش الإسرائيلي وأدت هذه الهجمات إلى التأثير السلبي على الاقتصاد الإسرائيلي، حيث انخفض معدل الأسعار لشركات التكنولوجيا الإسرائيلية حسب مؤشر ناسداك لأسهم التكنولوجيا من ٦٠٠ نقطة إلى ٢٧٠ نقطة خلال شهر واحد منذ بداية الانتفاضة، ناهيك عن انعدام الثقة في الشركات التي تعرضت للهجوم من حيث أمنها وقدرتها على حماية بيانات المستثمرين، فإذا كانت غير قادرة على حماية موقعها على الإنترنت فكيف تستطيع أن تحمي

استشاراتهم وبياناتهم

تأثير الانترنت على الوطن العربي دينياً :

أصبح ممكناً في عصر المعلومات لهؤلاء الذين لم يتدربوا ولم يؤهلوا كمحترفين في الشئون الدينية أن يمتلكوا بسهولة معرفة دينية وفيرة في إطار ما يسميه الكتاب ظاهرة التخصصات المتغيرة، بمعنى أنه أصبح من السهولة تغيير التخصص بين المفكرين والمثقفين والأكاديميين، وبدراسة تأثير عصر المعلومات على الدين من جهة الطرق والوسائل التي تستعملها الأديان للتعليم والهداية والإرشاد، ومنظومة المعتقدات، ويلاحظ أن هناك تطورات بارزة يمكن أن نطلق عليها عولمة الدين ومن أهم خصائص هذه العولمة الدينية:

- التغير في الشكل التقليدي الثابت للدين، فهناك دلالات على ظهور تحولات كبيرة في التركيب التقليدي للدين والمثال الأوضح على ذلك هو ظهور خصائص جديدة في الطقوس والممارسات الدينية .

- المؤسسة الدينية لم تعد تقتصر على النطاق المحلي: حيث ظهر مفهوم الدين الدولي أو (الدين متعدد الجنسيات) الذي يشير إلى مجموعة منظمة توظف الأنظمة الحديثة لعمليات الهداية والإرشاد، من خلال عملية تنظيمية شبه مستقلة في كل بلد وفقًا للحالة الثقافية والاجتماعية لكل دولة .

- حدوث تغيرات في البيئة الثقافية: فبالرغم من المخاوف من هيمنة الثقافة الأمريكية؛ فإن الإنترنت أصبحت محفزاً لخلق المجتمعات الثقافية العالمية ووسيلة غير مسبوقة لنشر العقائد والأيديولوجيات إلى جمهور العالم الأوسع .

فالإنترنت تتيح للشخص إمكانية الدعوة للأفكار الدينية وتوصيلها إلى أوسع قاعدة، كما يمكن لأي شخص القراءة عن الدين والكلام مع الآخرين حول الدين وتحميل النصوص والوثائق الدينية والمشاركة في جلسات الطقوس والاستماع إلى الخطب والمواعظ إلخ، وفي المقابل يمكن لمناهضي الدين بث انتقاداتهم وشبهاتهم دون أن تطالهم أيدي السلطات الدينية

والسياسية، وهو ما يكرس المخاوف من لجوء البعض إلى طوائف أخرى غريبة وشاذة، أو اندلاع حروب دينية على الإنترنت .

ولكن الإنترنت أثرت بلا شك على السلطات الدينية التقليدية من خلال انتزاع بعض صلاحياتها مثل إصدار الأوامر للأتباع والدعوة وتقديم المعتقدات للجمهور العربي .